**قصة الصحابى**

**قيس بن عاكم رضى الله عنه**

**الحليم الذى سنّ وأْد البنات**

**كان قيس بن عاصم المنقرى من أنبه السادات ذكرا وأخلدهم مأثرة فهو شاعر قوى العارضة وهو فارس مقدام لا يتراجع دون غُنم وهو كريم أريحى يتدفق باعطاء حتى لتأتى إليه الوفود من أقصى الجزيرة واثقة فى فتوته وأريحيته ثم هو بعد ذلك مضرب المثل فى الحليم والحلم جماع الاخلاق وسيدها الامثل يحتاج صاحبه إلى ركائز من الفضائل المختلفة تؤازرة وتسانده حتى بعتصم بسيد الاخلاق**

**ومازلنا حتى الان إذا اضطررنا إلى الاستشهاد فى مواقف التأبين عند فقد عظيم أو رجل زعيم لانجد فيما نتمثل به من الشعر أفضل مما اشتهر فى رثاء قيس بن عاصم لبمنقرى إذ يثول ناعيه**

**عليك سلام الله قيس بن عاصم**

**ورحمته ما شاء الله أن يترحما**

**تحية من غادرته غرض الردى}**

**إذا زار عن شحط ديارك سلما**

**وما كان قيس هلكه هلك واحد**

**ولكنه بنبيان قوم تهدما**

**ولانجد فى مجال التنويه به افضل من قوله الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدم قيس الى المدينة معلنا إسلامه : هذا سيد أهل الوبر ثم بسط له رداءه الشريف فجلس عليه تكريما لما ذاع من فضائل كرمه وأحاديث أريحيته وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بسادات العرب فلا يعقل أن يصف رجلا بما ليس فيه ! وكانت أريحية الكرم وهمامة النفس وعلو الهمة مما تتنزل لديه صلى الله عليه وسلم أكرم منزل ولأجلها احتفل بقيس فى مجلسه وهو احتفاء سجلته كتب الحديث والسيرة المطهرة فحاز شرف الخلود**

**وثانية نقولها فى مجال التنويه بقيس : تلك هى شهادة الأحنف بن قيس وكان رضى الله عنه هو الآخر مضرب المثل فى الحلم كما هو كقرينه قيس بم عاصم من معادن العرب النفسية التى ازدادت رفعة ووضاءة بنور الاسلام وقد قيل للأحنف من اين أخذت الحلم ؟ فقال فى مباهاة : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقرى قيل له : وكيف ذلك يا أبا بحر ؟ فقال الآحنف لقد قتل ابن أخيه ابنا له فأتى إليه بابن أخيه مكتوفا يقاد إليه فقال فى هدوء : أذعرتم الفتى ثم أقبل عليه فقال فى أسف : يابنى نقصت عددك وأوهنت ركنك وفتت فى عضدك وأمت عدوك وأسأت قومك ثم سكت مليا ونظر إلى من حوله فقال : خلوا سبيله واحملوا إلى أم المقتول ديته وانصرف الجمع وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه**

**هذا الهدوء الرزين لا يتسنى لغير حليم فسيح الصدر تعود ان يكظم غيظه حيث لا يستطيع اقوى الاقوياء ان يسيطر على نفسه ولقد هال الاحنف وهو الحليم الراسخ ان يرى الوالد فلذة كبده تتشحط فى دمائها ثم لا يتحرك ساكنا ولو كان المقتول ابن اخيه والقاتل ابنه لقلنا إن الرجل الداهية قد استجاب الى ندتء الدم فى مسارب قلبه وتظاهر بالحلم لينقذ فتاه من القصاص ولكن القتيل فلذة كبده وذلك ماراع الحاضرين وماجذب من الاحنف كل انتباه حتى اتخذ قيسا استاذا يستهديه**

**هذا السيد العربى العريق بما تأثل فى تفسه من شمائل عالية صار بها موضع السيادة فى قومه وصاحب السيرورة فى القبائل والطون كانت أخلاقه المعترف بسموها فى حاجة إلى هداية السماء وقد جاء الاسلام لينقذه من الظلمات الى النور لأن أخلاق الجاهلية لدى السادة مع م اكتمل لهم من عناصر الفتوة وركائز الحلم وذخائر النبل كانت فى حاجة قوية الى من يسمو بها فهى إن اكتملت فى موضع فقد نقصت فى موضع ولن تكون الاخلاق كاملة تامة دون أن تتشح بقلادة الإسلام ولك أن تسألنى عما كان ينقص هذا الشريف الحليم الماجد من عناصر الانسانية النبيلة التى كملت لديه بهداية محمد صلى الله عليه وسلم ولى أن اجيب بما يرضيك**

**كانت الغيرة على النساء فى المجتمع العربى من أعنف العواطف البدوية واحدها اضطراما فما تسقط فتاة فى يد مغير حتى يتلظى أهلوها حقدا وحفيظة وحتى يعبوا أكبر القوى لإنقاذها وقدتشتعل الحرب بين قبيلتين مرارا بسبب سبية أسرت فى غيبة ولى أمرها وكان مما امتحن به قيس بن عاصم أن أغار فارس من قبيلى " يشكر " على خيام بنى سعد فسبى منهم نساء وساق اموالا وكان فى النساء " رميم بنت جندل " وهى أبنة أخى قيس بن عاصم فجاء الخبر فى تميم بأن ابنة أخيه قد سيقت ألاخيذة فى بنى سعد وأصبحت حليلة لفارس يشكرى يقال له عمرو فتعاظم قيسا الامر وغضب على بنى سعد أن خارت عزائمهم دون العدوان فلم يدفعهوا المغيرين حتى اغتصبوا النساء وسلبوا الاموال ثم أعد عدة الرحيل وسار مغيظا إلى بنى يشكر يسألهم رد الأخيذة فقابله صاحبها بهدوء وتحفظ وأعلن أنه اصطفاها لنفسه عن اختيار ورضا منها وله أن يسألها فإن رضيت مفارقته قدمها إليه طائعا واستمع قيس إلى صاحبه فوقع حديثه منه موقع الرضا واطمأن إلى أن ابنة أخيه لن تخذله فى مشهد القوم وسترجع معه إلى ديارها مصونة مكرمة ولكنه فوجىء بها تختار عمرا اليشكرى وتفرى جبينه بالعرق ثم ارتحل مغضبا حنقا تهتاج فى صدره بواهث الثورة والحفيظة وآلى على نفسه أن يئد كل بنت تولد له كيلا يضطر إلى أن يقف هذا الموقف الكريه ورأى الناس سيد تميم يئد بناته فاتبعوه بغير إحسان حتى كانت تميم صاحبة السبق فى هذا المضمار وبين خيامها وندت الكثرة الكاثرة من البنات ولم لا وقيس فى حفيظة واضطرام**

**لم يكن قيس فى اطواء نفسه يحس بشاعة جرمه فهو يرى الوأد كرامة لقبيلته وعزة لنفسه وكان له من السيطرة والرئاسة ما جعل قومه يعتقدون أنه يأتى فضيلة لا رذيلة وقد كان تقدمه فى السيادة والشرف المتعارف عليهما بين القبائل مما يجعل جريمته محمدة إذ إن العرف الاجتماعى قد جرى حينئذ على قبول هذا الجرم فعده عملا مشروعا إن لم يكن مستحبا مرغوبا وإن شد عن هذا العرف السائد أفراد رزقوا سلامة النظرة وقوة البصيرة فقد روى التاريخ أن " صعصعة بن ناجية " جد الفرزدق كان يستهجن صنيع قيس ويراه سبة نكراء وقد بادر فافتدى إحدى بناته من الوأد واشتراها كى تصبح فى كتفه دون ان تقع أخطاؤها إن حدثت على قيس بن عاصم وهى همامة نفس تنبىء عن نظر بصير**

**ثم جاء الاسلاك واشرق نوره فمنع الموءودة أن تقتل وسأل عنها ( بأَىِ قتلت )**

**واضطر قيس بن عاصم أن يراجع تفسه فيما صنع وأخذت هداية الدين تكشف عن العيون غشاوات كثيفة حجبت أشعة العقل ورانت على الفطر السليمة فطمست لآلتها واحتاجت إلى من يزيل عنها الضباب فأخذ بنو تميم يتنبهون إلى ما جرهم قيس إليه من شطط جموح ورأى قيس أنه كان نائما وأن الاسلام قد أيقظه من ضجعة طويلة الرقاد فتعاظمه ما أسلف من جرائر ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما فهش له صاحب الخلق العظيم مرحبا ثم رأى قيس أن يترف بزلته فى حديث دار بينه وبين عمر بن الخطاب فقوبل بالاستنكار واشار عليه عمر ان يعتنق رقبة عن كل واحدة وندت ومع ان الاسلام يجب ما قبله فقد اراد الفاروق بذلك ان يريح قلب قيس من خواطره والرجل سيد واسع الثراء وفى عتق الرقاب ما يزيل الشكوك ويطمئن النفوس**

**ولقد تناقلت الكتب حديث قيس بن عاصم عن الموءودة فى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننقلع كما جاء فى مصادره إثارا لبلاغتة وتسجيلا لموقف دقيق على رسول الله صلى الله عليه وسلم قسأله بعض الانصار عما يتحدث به إلى الموءودات اللاتى وأدهن من بناته فى الجاهلية فأخبر أنه ما ولد له قط بنت إلا وأدها ثم أفبل على رسول الله صى الله عليه وسلم فقال : إنى أخاف سوء الأحدوثة والفضيحة فى البنات فما ولدت لى بنت إلا وأدتها وما رحمت منهن موءودة إلا بنية كانت لى ولدتها أمها وأنا فى سفر فدعتها إلى أخوالها فكانت فيهم حتى قدمت فسألت أمها عما تم فى حملها فأخبرتنى أنها ولدت ولدا ميتا**

**ومضى على ذلك سنون حتى كبرت البنت ويفعت وكنت عند امها يوم فرأيتها وقد ضفرت شعرها وجعلت فى قرنها شيئا من خلوق ونظمت عليه ودعا وألبستها قلادة جزع وجعلت فى عنقها مخنقة بلح فقلت : من هذه الصبية ؟ لقد أعجبنى جمالها ولبسها فبكت وقالت : هذه ابنتك كنت قد اخبرتك أتىولدت ولد ميتا وجعلتها عند أخوالها حتى بلغت هذا المبلغ فأمسكت عنها حتى شغلت أمها ثم اخرجتها فحفرت لها حفرة وجعلتها فيها وهو تقول : يا ابه ما تصنع بى ؟ فجعلت أقذف التراب عليها وهى تقول : يا أبه أمغطى أنت بالتراب أم ام تاركى انت وحدى ومنصرف عنى ؟ وكم حاولت أن تزيح عن لحيتى ما علق بها من أثر التراب بيد أنى كنت أقذف التراب عليها وأهيله حتى واريتها وانقطع صوتها فما رحمت أحدا ممن وأدت غيرها فدمعت عين النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن هذه لقسوة من لايرحم لا يرحم**

**هذا ما ذكرته الكتب من امر قيس بن عاصم ولو كان من سوقة الناس لقيل عنه أعرابى قدم غليظ القلب لا يبالى ماذا يصنع " ولكنه كان رجلا ذا مجادة يهتز للأريحية ويسعى للمحمدة وقد ساد قومه بماآثره وجرى المثل بمحامدة حتى صار قدوة رجل عظيم كالاحنف بن قيس**